



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية

مادة منهجية البحث العلمي

المحاضرة 05

الافتراضات الفلسفية والأطر التفسيرية

Philosophical assumptions and Interpretive frameworks

أستاذ المادة		
الاسم واللقب	الرتبة	البريد الإلكتروني
د. صابر بن عيسى	أستاذ محاضر قسم "أ"	saber.benaissa@univ-biskra.dz

الطلبة المعنيين	
المستوى	الكلية /المعهد
سنة أولى جندع مشترك	علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية

أهداف المحاضرة 05

- ← أن يصبح الطالب قادراً على تمييز الخصائص الجوهرية لكل إطار تفسيري من الأطر الأربعة.
- ← أن يصبح الطالب قادراً على مقارنة المواقف الفلسفية المختلفة من حيث نظرتها للواقع، وطبيعة المعرفة، ودور الباحث في إنتاجها.
- ← أن يصبح الطالب قادراً على تفسير كيف تؤثر الأطر الأربعة في اختيار مناهج البحث وأساليب تحليل البيانات.
- ← أن يصبح الطالب قادراً على توظيف الإطار الفلسفي الأنسب لتحليل أو تصميم بحث علمي في مجاله، وفق منطق كل مدرسة تفسيرية.
- ← أن يربط بين التطور الفلسفي وبين المناهج البحثية المستخدمة اليوم في العلوم الإنسانية والرياضية.
- ← يحلّل العلاقة بين طبيعة المشكلة البحثية والمنطلق الفلسفي المناسب لمعالجتها.
- ← يربط بين تطبيقات المنطلقات الفلسفية في مجال علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية.
- ← ينقد ممارسات الباحثين في ضوء مدى انسجامها مع الأطر الفلسفية التي ينطلقون منها.



في المستهل...

في إحدى جلسات التقييم الأسبوعية لفريق كرة القدم تحت 19 سنة، لاحظ المدرب "يوسف" - الذي يتميز بهدوئه وطريقته الحوارية- أن أداء اللاعبين في المباراة لم يكن كما توقع.

تساءل: "هل المشكلة في الخطة؟ في الدافعية؟ أم في طريقة تدريب لهم هذا الأسبوع؟"

قرر "يوسف" أن يحوّل هذا التساؤل إلى بحث مصغر داخل الفريق.

فطلب من اللاعبين كتابة ما شعروا به أثناء المباريات، وأجرى معهم مقابلات قصيرة، وسجّل ملاحظاته الرقمية عن تمارينهم وسرعة استجابتهم.

← وبينما كان يحلل المعطيات، أدرك أنه يتعامل مع أنواع مختلفة من المعرفة:

← بيانات رقمية دقيقة من أجهزة القياس (رؤية "ما بعد وضعية").

← ومعانٍ وتأويلات ذاتية من اللاعبين حول دوافعهم (رؤية "بنائية").

← وقرارات عملية حول كيفية تعديل البرنامج التدريبي لاحقًا (رؤية "براجماتية").

حينها قال مبتسمًا: "ربما لا أحتاج أن أختار فلسفة واحدة... ربما أحتاج أن أتعلم كيف أوازن بينها!"

وهكذا يجد الطلبة أنفسهم أمام سؤال جوهري في هذه المحاضرة:

كيف توجه المنطلقات الفلسفية طريقة تفكير الباحث الرياضي، من مرحلة طرح السؤال إلى

تفسير النتائج واتخاذ القرار؟

1. ملاحظات حول طريقة تقديم المحاضرة

تم تقديم هذه المحاضرة في إطار التعلم النشط القائم على العمل بالمجموعات (التعلم التعاوني)، بهدف تعزيز تفاعل الطلبة وفهمهم العميق لموضوع المنطلقات الفلسفية (الأطر التفسيرية) في البحث العلمي.

← عدد الطلبة: تم تقسيم الطلبة إلى ثمانية أفواج (مجموعات عمل صغيرة).

طريقة التنظيم:

← تم توزيع نص المحاضرة كاملاً على جميع الأفواج.

← كُلفت جميع المجموعات بالإجابة عن 27 سؤالاً تحليلياً وتفاعلياً تم إعدادها من مضمون المحاضرة نفسه.

← الأسئلة صُممت لتغطي مختلف أبعاد الموضوع:

1. **الفهم العام** لمفهوم المنطلقات الفلسفية.

2. تحليل الاتجاهات الثلاثة: **ما بعد الوضعية، البنائية، البراجماتية.**

3. المقارنة بين هذه الاتجاهات من حيث **الحقيقة والمعرفة وطبيعة الباحث والمبحوث.**

4. **توظيف** المفاهيم الفلسفية في مجال علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية.

آلية العمل:

← ناقش كل فوج الأسئلة جماعياً داخل القاعة، مستعيناً بمحتوى المحاضرة والنصوص التوضيحية.

← تم اختيار **ممثّل واحد عن كل فوج** لعرض نتائج المناقشة أمام بقية المجموعات.

← تلت العروض مناقشة مفتوحة لتوضيح الاختلافات في التفسير، وربط الأفكار بتجارب الطلبة ومجال تخصصهم.

دور الأستاذ:

← تولّى الأستاذ **دور الميسّر للنقاش**، حيث **وجّه** المجموعات **وطرح أسئلة** تفكير ناقد إضافية لتوسيع النقاش.

← تم في ختام النشاط **تلخيص** أبرز المفاهيم في جدول مقارن بين المنطلقات الفلسفية الثلاثة.

نتيجة النشاط:

← ساهم هذا الشكل التفاعلي في:

1. تعزيز مهارات التحليل الفلسفي والنقد العلمي لدى الطلبة.
2. ترسيخ القدرة على الربط بين النظرية والتطبيق في البحث الرياضي.
3. تشجيع الطلبة على تبني مواقف فكرية نقدية تجاه مناهج البحث المختلفة.

مخرجات التعلم من النشاط الجماعي:

من خلال تقديم المحاضرة وفق أسلوب **العمل بالمجموعات** والإجابة الجماعية على الأسئلة التحليلية، تمكن الطلبة من تحقيق المخرجات التالية:

1. **فهم معمق لمفهوم المنطلقات الفلسفية** ودورها في توجيه البحوث العلمية في مجالات التربية البدنية والرياضية.
2. **تمييز دقيق بين الاتجاهات الفلسفية الثلاثة** (ما بعد الوضعية، البنائية، البراجماتية) من حيث طبيعة الحقيقة والمعرفة ودور الباحث.
3. **تنمية مهارات النقاش والتحليل النقدي** من خلال تبادل الآراء والمقارنة بين وجهات النظر داخل الفوج الواحد وبين الأفواج الثمانية.
4. **القدرة على الربط بين النظرية والممارسة**، من خلال تحليل أمثلة تطبيقية مستمدة من واقع البحث الرياضي والميداني.
5. **تعزيز مهارات العمل التعاوني والتواصل العلمي** عبر تنسيق الجهود داخل كل فوج وتقديم العروض الجماعية أمام الزملاء.
6. **اكتساب وعي فلسفي منهجي** يساعد الطلبة على اختيار المنهج البحثي المناسب وفق المنطلق الفلسفي الذي ينسجم مع طبيعة مشكلاتهم البحثية.

2. المنطلق الفلسفي ما بعد الوضعية

يُقر ما بعد الوضعيين بوجود حقيقة منفصلة عن إدراكنا، بمعنى أن الحقيقة توجد في الواقع وخارج الذهن. لكن يرون أنه لقصور أدوات الإدراك لدى الإنسان فإنه لا يمكن أن يعرف الحقيقة كما هي. بل يستطيع أن يصل إلى صورة تقريبية لها. فما بعد الوضعية واقعية نقدية تخضع دعوى الوصول إلى الحقيقة إلى فحص دقيق لضمان الوصول إلى أقرب إدراك ممكن لها، لكن ليس إلى إدراك كامل لها. فالواقعية النقدية ترى أن الظاهرة التي تدرس في البحث العلمي ليست معاني في عقل العالم فقط، ولكنها تتوافق مع الكائنات أو العمليات الحقيقية التي توجد مستقلة عنا، إلا أن هذا التوافق غير كامل بل فيه قصور، ولذلك فمن الضروري تبني منحنى نقدي فيما يتعلق بالملاحظة والاستنتاج. فعلى هذا، فالمعرفة مبنية بشكل جزئي وليست صوراً مباشرة للحقيقة (كما تقول الواقعية السطحية). بمعنى آخر فحقيقة أننا نبني المعرفة لا يمنعها من أن تتوافق مع الواقع، ولكن هذا التوافق ليس مُعقداً وغير كامل (العبد الكريم، 2012، ص.16).

وترى موريس (2006 ، كما ورد في العبد الكريم، 2012)، أن ما بعد الوضعية تأخذ المنظور الوضعي نقطة بداية لها، وتقبل، في الجملة، الرؤية التي تتبناها الوضعية، أي أنها تسلم لها بالأصل الذي قامت عليه. فهي ترى وجود حقيقة موضوعية، لكنها ترى أن القوانين والآليات المطلقة التي تقف خلف تلك الحقيقة لا يمكن إدراكها تماماً أو الإحاطة بها. فالبيانات الكمية تعطي بعض الحقيقة، أما بعضها الآخر فلا بد من اكتشافه من خلال الاستكشاف المفتوح. فما بعد الوضعية تأخذ منحنى استقرائياً استكشافياً لفهم الحقيقة الموضوعية، فهي بهذا وسط بين البنائية والوضعية (ص.17).

وأشار كريسويل (2019) إلى أن أثر المنطلقات ما بعد الوضعية واضح في الصيغ التقليدية للبحث العلمي، وهي أكثر وضوحاً في المنهج الكمي منها في النوعي. وقد يشار لتلك المنطلقات أحياناً باسم المنهج العلمي، أو البحث العلمي، وتسمى أيضاً باسم منهج البحث الوضعي وما بعد الوضعي، أو باسم العلوم التجريبية.

وتسميتها بما بعد الوضعية يشير لمرحلة لاحقة في تطور المذهب الوضعي الذي هو الأساس هنا؛ والسبب في تسميتها ما بعد الوضعية أنها انتقدت مفهوم الوضعية التقليدية للمعرفة اليقينية. فما بعد الوضعية قد أقرت أنه لا يمكن لنا أن نخضع السلوك الإنساني لقانون واحد مستند إلى مجرد الوقائع التجريبية كما كانت تُنادي الوضعية التقليدية. وقد أتت أفكار ما بعد الوضعية من كتابات القرن التاسع الميلادي.

ويؤمن أنصار ما بعد الوضعية بجملة من المنطلقات. فهم **يقولون بالسببية**، أي أن ثمة أسبابًا **محتملة** ستقود حتمًا إلى نتائج معينة في كل شيء حولنا. ولذلك، فإن الباحث الذي ينطلق من هذه الفلسفة يحتاج في دراسة مشكلة بحثه أن **يحدد سلفًا الأسباب التي تؤثر في النتائج وقيسها**، كما هي الحال في الدراسات التجريبية. كما أنهم **يؤمنون بالاختزال**، أي تفكيك الفكرة واختزالها في أجزاء صغيرة متميزة قابلة للقياس، وهو ما نراه في طريقة تناول المتغيرات حين صياغة فرضيات الدراسة أو أسئلتها. ولأن ما بعد الوضعية ترى أن "الواقع يقع خارج نواتنا"، فإن معرفة ذلك الواقع لا تحصل إلا بالملاحظة والقياس الدقيقين له. ولهذا السبب، فإن ما بعد الوضعية قد جعلت بناء مقاييس رقمية لما نلاحظه من حولنا أمرًا له الصدارة في فلسفتها. ومحصلة هذا كله، أن ما بعد الوضعية ترى أن العالم من حولنا خاضع في حركته لقوانين ونظريات؛ وما نحتاجه نحن اختبار تلك القوانين والنظريات والتأكد من صحتها وتنقيحها حتى نفهم ذلك العالم. فالمنهج العلمي في البحث كما يراه أنصار ما بعد الوضعية يستلزم من الباحث أن يبدأ بتحديد النظرية، ثم يجمع البيانات التي قد تدعم النظرية أو لا تدعمها، ثم يجري تنقيحًا على تلك النظرية إن استلزم الأمر، ثم يعاود الكرة باختبار تلك النظرية، وهكذا دواليك (كريسويل، 2019، ص. 49).

أكد كريسويل (2019)، أنه هناك مسلمات رئيسية تنطلق منها ما بعد الوضعية هي:

1. أن المعرفة ظنية، وليست قطعية. لذلك، فإن الدليل الذي يقدمه لنا البحث العلمي يظل دائمًا يعترضه النقص ومعرضًا للخطأ. ولهذا السبب، فإن الباحثين الذين يتبنون هذه المسألة حول المعرفة لا يقولون برفض الفرضية حين لا تدعمها البيانات، لكن عوضًا عن ذلك يشيرون إلى إخفاقهم في رفض الفرضية.
2. بما أن المعرفة ظنية، فإن البحث العلمي هو صياغة للفرضيات، ولكن هذه الفرضيات قد ننقحها أو ربما نتخلى عن بعضها لأجل فرضيات أخرى مدعمة بالبرهان أكثر من غيرها. لذلك، يستهل الباحثون دراساتهم الكمية بالقول إنهم يريدون اختبار صحة نظرية ما.
3. نستمد المعرفة من البيانات والبراهين والاعتبارات العقلانية، وتطبيق ذلك هو أن يجمع الباحث المعلومات باستخدام أدوات قياس كمية. واستجابة المبحوثين مباشرة على تلك الأداة أو تسجيل الباحث لملاحظاته مثال على ذلك.
4. يسعى البحث العلمي إلى صياغة عبارات صحيحة تعبر عن الموقف الذي ندرسه أو تشرح العلاقات بين المتغيرات التي ندرسها. وفي البحث الكمي، يوضح الباحثون في مستهل بحوثهم صورة الموقف أو شكل العلاقة بين متغيرات الدراسة في هيئة أسئلة أو فرضيات.

5. لكي يتجنب الباحث التحيز ويكون موضوعياً، يجب عليه أن يتأكد أن إجراءات الدراسة والاستنتاجات كلاهما موضوعي وغير متحيز. ولأجل ذلك، فإن الصدق والثبات أمران مهمان في البحث الكمي (ص. 50).

يستخدم الباحثون النوعيون المعتمدين على الفلسفة ما بعد الوضعية المنحى العلمي في دراساتهم مركزين على نظريات العلوم الاجتماعية. وقد استخدم مصطلح الفلسفة ما بعد الوضعية وليس الفلسفة الوضعية؛ لأن الفلسفة ما بعد الوضعية لا تؤمن بحتمية العلاقة السبب - النتيجة؛ فهي ترى بأن العلاقة بين السبب والنتيجة هي علاقة احتمالية قد تحدث أو لا تحدث، وتتكون عناصر ما بعد الوضعية من الاختزالية، والمنطقية، والتجريبية، والسبب والنتيجة، والحتمية المبنية على نظريات مسبقة، ويمكن أن نرى هذا المنحى لدى الأشخاص قبل تدريبهم على البحث النوعي، وفي الميدان؛ مثل ميدان العلوم الصحية؛ حيث يمارس الباحث النوعي دور الداعم لبحثه وقائداً لفريق البحث، وللجهات الداعمة (كريسويل وبوث، 2019، ص. 39).

ومن الناحية التطبيقية يرى الباحثون ما بعد الوضعيين البحث على أنه سلسلة من الخطوات المنطقية، ويؤمنون بوجهات نظر المشاركين المتعددة، وليس بوجود حقيقة واحدة فقط، واتباع أساليب صارمة لجمع البيانات النوعية وتحليلها، ويحرصون على استخدام مستويات متعددة لتحليل البيانات، ويوظفون برامج الحاسوب لمساعدتهم على تحليل البيانات، ويحرصون على توافر الصدق في دراساتهم، ويكتبون دراساتهم على شكل تقارير علمية ولكن بطريقة مشابهة لبنية البحوث النوعية (مثل: مشكلة الدراسة، والأسئلة، وجمع البيانات، والنتائج، والاستنتاجات (كريسويل وبوث، 2019، ص. 39).

3. المنطلق الفلسفي البنائي

يفترض التصور البنائي أن الحقيقة المطلقة أو العامة غير مدركة، أي بطبيعتها مستعصية على الإدراك، وأن الحقائق التي ندرك إنما هي منظورات فردية، أو بناء للحقائق. ولذا فالحقيقة عبارة عن بُنى اجتماعية، أي حقائق نسبية يبنها الفرد بتفاعله مع مجتمعه. فكل فرد له حقيقته، مع وجود نقاط مشتركة بين الأفراد في كل مجتمع. فالفرد يبنى نسخته الخاصة به من الحقيقة عن طريق تفاعله مع مجتمعه وبتأثير من ذلك المجتمع. فالحقائق في النهاية إنما هي بنى اجتماعية (العبد الكريم، 2012، ص. 17).

وبحسب موريس (2006، كما ورد في العبد الكريم، 2012)، فإن التوجه البنائي يمثل التحدي الأكبر للتوجه الوضعي التقليدي للبحث، حيث إنه يعارضه في طبيعة الحقيقة. فالتوجه البنائي لا يرى

وجود حقيقة موضوعية، بل يقترح أن الخبرة الإنسانية يمكن أن تُفهم فقط بوصفها حقيقة ذاتية. فنحن نفهم العالم من وجهة نظرنا أو من (منظورنا)، ولا يمكن لأحد أن يقف خارج الخبرة الإنسانية أو خارج الذات ليلاحظ القوانين والآليات النمطية بشكل مستقل عن البيئة والشخص. وعليه فالطريقة الوحيدة لفهم ظاهرة إنسانية هي فهم إدراكات وبناءات أولئك الأشخاص المشتركين في تلك الظاهرة، لتلك الظاهرة. فالبنائيون يرون أن الباحث الذي يجمع معلومات أو معرفة جديدة عن الخبرة الإنسانية إنما يجمع، ولا بد، معلومات ذاتية. وللقيام بذلك يتعاون الباحث مع أولئك المشتركين في تلك الخبرة الإنسانية لإيجاد بناء صادق وحقيقي للخبرة الإنسانية المبحوثة. وهذا التعاون يسمى الجدل التأويلي.

وأشار كريسويل (2019)، أن البنائية أو البنائية الاجتماعية تمثل منطلقاً فلسفياً في البحث العلمي (وغالباً ما ترتبط بالذين يرون أن الظواهر البشرية خاضعة للتأويل المتباين وليست مختزلة)، ويرى أنصار البنائية الاجتماعية أن الأفراد يسعون لفهم العالم الذي يعيشونه، سواء في حياتهم الخاصة أو في الحياة العامة. وأن هذا الفهم يتشكل من المعاني التي يستخلصها الأفراد من تجاربهم الشخصية. لذا، فإن تلك المعاني متشعبة ومتنوعة وتدفع الباحث إلى النظر في تعقدها بدلاً من اختزالها.

وحينئذ، يصبح هدفُ الباحث وفق المنطلق البنائي الغوص في المعاني التي يحملها الأفراد حول الموقف محل الدراسة. وعلى العكس مما طرحه منطلقات ما بعد الوضعية، تصاغ الأسئلة في البحوث البنائية بصياغة مفتوحة تتيح للمشاركين التعبير بحرية عن رؤيتهم للموقف، كما تتيح التفاعل بين الباحث والمشاركين في الدراسة أو بينهم أنفسهم، مما ينتج تفاعلاً ونقاشاً حول موضوع البحث. ولذلك يُفضل أن تكون الأسئلة ذات نهايات مفتوحة حتى يتمكن الباحث من الاستماع عن قرب لما يقوله الناس أو يفعلونه في واقع حياتهم، وما يحمله ذلك من معاني قابلة للتأويل. ومهمة الباحث هي دراسة كيفية تشكّل تلك المعاني، فهي لم تُكتسب من فراغ (ولذا سميت هذه الفلسفة بالبنائية الاجتماعية). بل تشكّلت بفعل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ومن خلال الأدوار النمطية التي يؤدونها وكيف تطورت تلك الأنماط عبر الزمن.

وفي هذا الإطار، يعترف الباحث البنائي أن خلفياته الشخصية والثقافية تؤثر على تفسير النتائج، لأنه يضع نفسه في الموقف البحثي، ومع ذلك يبقى هدفه الأساس هو تفسير المعاني التي يحملها الأفراد حول العالم وليس فرض معانيه الخاصة. وبدلاً من أن يبدأ الباحث بنظرية جاهزة كما في المنهج الكمي، فإنه يستنتج استقرائاً المعاني التي يحملها الأفراد عن الظاهرة، وقد تتولد النظرية من تلك المعاني.

وبضيف كريسويل وبوث (2019)، (أن البنائية الاجتماعية) ويطلق عليها أيضًا الفلسفة التفسيرية (تسعى إلى فهم العالم الذي يعيش ويعمل فيه الأفراد من خلال تطوير معانٍ خاصة لتجاربهم. وهذه المعاني متعددة ومتباينة، مما يقود الباحث إلى النظر في الأفكار المعقدة والمركبة بدلاً من حصرها في تصنيفات بسيطة. ولذلك فإن الهدف من البحث هو الاعتماد على آراء المشاركين، إذ تُناقش هذه المعاني اجتماعيًا وتاريخيًا. وبكلمات أخرى، هذه المعاني لا تكون مطبوعة في ذهن الأفراد، بل تتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي والثقافي والتاريخي الذي يوجّه حياتهم.

وبخلاف المنطلقات الوضعية أو ما بعدها، لا يبدأ الباحث البنائي بنظرية، بل يولد أو يطور نظرية ذات معنى من داخل الميدان. وفي الممارسة العملية، تصبح الأسئلة أكثر عمومية وانفتاحًا، مما يسمح للمشاركين بتكوين معانٍ للأشياء من خلال النقاش والتفاعل. ويهتم الباحث البنائي بدراسة عمليات التفاعل بين الأفراد، مع التركيز على السياقات الثقافية والتاريخية التي يعيش فيها المشاركون. كما يدرك الباحثون أن خلفياتهم الشخصية تؤثر في تفسيرهم، فهم يضعون أنفسهم في سياق البحث، وبالتالي يتأثر تفسيرهم للأحداث بتجاربهم الشخصية والثقافية والتاريخية (كريسويل وبوث، 2019، ص. 40).

وبعد أن استعرضنا الأسس الفلسفية التي يقوم عليها التصور البنائي، من حيث نظريته إلى الحقيقة والمعرفة ودور الفرد في بنائها، يجدر بنا أن نعرض الآن المسلمات التي تنطلق منها هذه الفلسفة في البحث العلمي، كما كريسويل (2019)، والتي تُبرز الأبعاد التطبيقية للمنظور البنائي في الدراسات النوعية:

1. رؤية الإنسان للعالم من حوله عبارة عن معانٍ تشكلت بفعل تفسيره لهذا العالم وما فيه، والبحث النوعي يستخدم الأسئلة ذات النهايات المفتوحة حتى يتمكن المشاركون في الدراسة من التعبير عن تلك الرؤى بحرية، ولهم أيضًا أن يشاركوا الباحث في تفسيره لرؤاهم.
2. شكّل التفاعل بين الإنسان والعالم من حوله ينبع من خلفية اجتماعية ثقافية تشكلت عبر الزمن وأمدته بمعانٍ عن ذلك العالم. لذا، يحاول الباحث في البحث النوعي فهم السياق الذي يوجد فيه الأفراد ويجمع البيانات بنفسه عن ذلك السياق لفهم خلفياته. كما أن تفسير الباحث للنتائج يتأثر بخبراته وخلفياته أيضًا.
3. تتشكل المعاني لدى الفرد حول العالم من خلال تفاعله الاجتماعي مع الآخرين؛ وتلك عملية مستمرة. ولأن البحث النوعي في معظمه استقرائي، يستخلص الباحث تلك المعاني من البيانات التي يجمعها من ميدان ذلك التفاعل الاجتماعي (ص. 52).

وخلاصة القول، إن المنطلقات البنائية تؤكد أن المعرفة ليست انعكاساً جاهزاً للواقع، بل هي بناء إنساني يتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي والثقافي، وأن دور الباحث هو فهم تلك البنى والمعاني في سياقاتها الطبيعية، من خلال تواصل مفتوح وتأويل مستمر لما يعبر عنه المشاركون في دراساتهم.

4. المنطلق الفلسفي البرجماتية (Pragmatism)

تُعد البرجماتية أو النفعية من المنطلقات الفلسفية التي تركز على نتائج البحث العلمي وتطبيقاته العملية أكثر من تركيزها على المقدمات أو الفروض النظرية. وقد أكد كريسويل (2019)، أن هذه النزعة أخذت أشكالاً متعددة، إلا أن جمهور الباحثين يرى أنها مرتبطة بالأفعال والمواقف وما يترتب عليها من نتائج، لا بالمقدمات الموضوعية سلفاً كما هو الحال في فلسفة ما بعد الوضعية.

فالاهتمام ينصب على حل المشكلات الواقعية والتطبيقات العملية، إذ ينشغل الباحث البراجماتي بـ ما هو عملي وذو فائدة مباشرة، وليس فقط بالبحث المجرد.

البحث العلمي بدافع المنفعة يهتم أكثر بـ مشكلة البحث نفسها، لذلك قد يستخدم كل المناهج البحثية المتاحة للتعامل مع المشكلة وفهمها. ومن هذا المنطلق نشأت فكرة المنهج المزدوج، لأن المنفعة هي التي تدعم الأساس الفلسفي الذي يقوم عليه هذا المنهج، حيث يوظف الباحثون مناهج وأساليب متعددة لاستخلاص أكبر قدر ممكن من المعرفة ذات الصلة بمشكلة الدراسة.

وقد أوضح كريسويل وبوث (2019)، أن الباحثين الذين يتبنون البراجماتية يركزون على مشكلة البحث وأستلثها أكثر من انشغالهم بأساليب البحث ذاتها. ف البراجماتية لا تلتزم بنظام فلسفي واحد، بل تمنح الباحث حرية اختيار الأسلوب والإجراء الأنسب لتحقيق أهداف الدراسة.

بعد أن تناولنا الأسس الفلسفية التي يقوم عليها التصور البراجماتي (النفعي)، من حيث تركيزه على المنفعة والتطبيق وحل المشكلات الواقعية بدل الانشغال بالمقدمات النظرية، يجدر بنا أن نعرض الآن الأفكار والمسلّمات الأساسية التي تنطلق منها هذه الفلسفة في البحث العلمي، كما أوضحها كريسويل (2019)، والتي تُبرز الأبعاد العملية والتكاملية للمنظور البراجماتي في الدراسات العلمية:

1. **الالتزام الفلسفي:** لا تلتزم البراجماتية بأي نظام فلسفي محدد، بل تتيح للباحث حرية التحرك بين المناهج حسب ما تقتضيه طبيعة الدراسة.
2. **حرية الاختيار:** للباحث حرية اختيار المنهجيات والإجراءات التي تتلاءم مع احتياجات بحثه، دون التقيد بأسلوب واحد.

3. **تعدد الواقع:** يرى البراجماتي أن العالم ليس وحدة مطلقة، بل يمكن فهمه بطرق متعددة، لذلك يستخدم الباحثون أساليب متنوعة لجمع البيانات وتحليلها بدلاً من الاقتصار على المنهج الكمي أو النوعي فقط.
 4. **نسبية الحقيقة:** الحقيقة عند البراجماتيين مرتبطة بزمانها وسياقها، فهي ما ينفع في الحياة في وقت معين وليست مطلقة.
 5. **التركيز على "ماذا" و"كيف":** يهتم البحث البراجماتي بالإجابة عن سؤالين أساسيين: ماذا وكيف؟ أي أنه يسعى إلى تحليل النتائج ومآلاتها العملية.
 6. **السياق المتعدد:** يعترف البراجماتيون بأن البحث يجري في سياقات اجتماعية وتاريخية وسياسية متشابكة، وقد يتقاطع أحياناً مع فلسفة ما بعد الحداثة عند دراسة القضايا ذات العلاقة بالسياسات العامة أو العدالة الاجتماعية.
 7. **المنهج المزجي كامتداد براجماتي:** فتحت البراجماتية الباب واسعاً أمام المنهج المزجي لما توفره من مرونة في التنويع المنهجي والافتراضي، وكذلك تنويع مصادر البيانات وطرق تحليلها، مما يسمح للباحث بفهم أعمق وأدق لمشكلة الدراسة في سياقها الواقعي (ص. 54).
- أضاف كريسويل وبوث (2019) نقطتين أساسيتين:
8. يعتقد الباحثون البراجماتيون أن العالم الخارجي مستقل عن العقل وما تم تخزينه، ويعتقدون كذلك بأننا بحاجة للتوقف عن طرح الأسئلة حول الواقع وقوانين الطبيعة، لذلك هم يرغبون في تغيير الواقع.
 9. ومن الناحية التطبيقية فإن الأشخاص الذين يستخدمون هذه النظرة العالمية يستخدمون أساليب ومصادر متعددة لجمع بياناتهم؛ للوصول إلى الإجابة الفضلى لأسئلة الدراسة، وبالتالي سيركزون على أفضل التطبيقات لبحوثهم، ويحرصون على استخدام الأساليب والإجراءات لحل مشكلة الدراسة.

5. الأسئلة والأجوبة التي تم تغطيتها

1. ما معنى المنطلق الفلسفي ما بعد الوضعية، وكيف يعرف الحقيقة؟
الإجابة: الحقيقة موجودة خارج الذهن، لكنها لا يمكن إدراكها بالكامل؛ الباحث يصل فقط إلى صورة تقريبية لها. (فقرة 2-3).
2. لماذا يعتبر ما بعد الوضعية "واقعية نقدية"؟
الإجابة: لأنها تتيح فحصًا دقيقًا للوصول لأقرب إدراك ممكن للحقيقة، مع الاعتراف بقصور أدوات الإدراك. (فقرة 3)
3. كيف يوازن ما بعد الوضعية بين الوضعية والبنائية في فهم الحقيقة؟
الإجابة: تتبنى بعض مبادئ الوضعية (وجود الحقيقة) لكنها ترى أن معرفتنا لها جزئية وتحتاج لاستكشاف استقرائي. (فقرة 5-6)
4. اذكر المسلمات الرئيسية التي يؤمن بها أنصار ما بعد الوضعية في البحث العلمي.
الإجابة: المعرفة ظنية، الفرضيات قابلة للتنقيح، المعرفة مستمدة من البيانات والعقل، صياغة علاقات بين المتغيرات، الموضوعية والصدق. (فقرة 11)
5. كيف يطبق الباحث النوعي ما بعد الوضعية على الدراسات الاجتماعية؟
الإجابة: باستخدام المنهج العلمي، مع التركيز على نظريات العلوم الاجتماعية، وعدم الإيمان بحتمية العلاقة سبب - نتيجة، واستخدام تحليل متعدد المستويات للبيانات. (فقرة 12-13)
6. اشرح أثر المنطلق ما بعد الوضعية على بناء الفرضيات وأسئلة البحث.
الإجابة: الباحث يحدد مسبقًا الأسباب المحتملة للنتائج ويصمم أدوات قياس دقيقة، مع إمكانية تعديل الفرضيات بناءً على البيانات.
7. إذا كانت ما بعد الوضعية تعترف بوجود حقيقة موضوعية لكنها تقر بعدم إمكانية إدراكها إكمالًا، فهل يمكن اعتبار نتائج البحوث الكمية التي تعتمد على هذا المنطلق "موضوعية" حقًا؟
الإجابة: لا يمكن اعتبار نتائج البحوث ما بعد الوضعية موضوعية تمامًا، لأنها تُبنى على قياسات محدودة بالأدوات البشرية التي تعاني من قصور إدراكي. الموضوعية هنا نسبية، وليست مطلقة، والنتائج تمثل "أفضل تقدير ممكن" للحقيقة.

8. ما الفرق بين "الإخفاق في رفض الفرضية" و"رفض الفرضية" في فلسفة ما بعد الوضعية؟ وما الدلالة الفلسفية لهذا التمييز على طريقة التفكير العلمي؟

الإجابة: الإخفاق في رفض الفرضية يعني أن الدليل غير كافٍ لدحضها، وليس أنها صحيحة. هذا يعكس فكرة أن المعرفة ظنية، وليست يقينية، وأن النتائج يجب أن تُفهم دائماً في ضوء احتمالية الخطأ.

9. كيف يمكن للباحث أن يبرر استمرار استخدام أدوات كمية في قياس ظواهر إنسانية مع الاعتراف بأن الحقيقة المدركة غير كاملة؟

الإجابة: يبرر الباحث استخدام الأدوات الكمية لأنها توفر درجة من الدقة والضبط تمكنه من الاقتراب من الحقيقة الواقعية، حتى وإن لم يدركها كاملة. فهي وسيلة تقرب لا مرآة مطلقة للواقع.

10. كيف ينظر المنطلق البنائي إلى الحقيقة والمعرفة؟

الإجابة: الحقيقة نسبية، مبنية اجتماعياً، والمعرفة هي بناء فردي يتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي والثقافي. (فقرة 16-17)

11. ما دور الباحث والمشاركين في الدراسات البنائية؟

الإجابة: الباحث يتعاون مع المشاركين لفهم خبراتهم، ويشاركهم في تفسير المعاني، مع الاعتراف بتأثير خلفياته الشخصية والثقافية. (فقرة 18-19)

12. لماذا تُصاغ الأسئلة في البحث البنائي بصياغة مفتوحة؟

الإجابة: للسماح للمشاركين بالتعبير عن رؤاهم بحرية ولتوليد معاني جديدة، وللتفاعل الاجتماعي حول موضوع البحث. (فقرة 17-18)

13. اذكر المسلمات الثلاث الأساسية للبحث البنائي.

الإجابة (1): رؤية الإنسان للعالم على أنه معاني، (2) التفاعل مستمر ومتأثر بالخبرة والثقافة، (3) استقراء المعاني من البيانات الميدانية.

14. إذا كانت الحقيقة في التصور البنائي تُبنى اجتماعيًا، فكيف يمكن التحقق من صدق المعاني الناتجة عن التفاعل بين الباحث والمشاركين؟

الإجابة: التحقق من صدق المعاني يتم عبر "الجدل التأويلي" والمقارنة بين تفسيرات المشاركين، وليس عبر أدوات القياس التقليدية. الصدق هنا يعني الاتساق الداخلي وعمق الفهم، لا المطابقة الخارجية.

15. هل يمكن اعتبار "الجدل التأويلي" في البنائية شكلاً من أشكال الذاتية التي تهدد حياد الباحث؟ أم أنه ضرورة لفهم الظواهر الإنسانية؟

الإجابة: الجدل التأويلي ليس تهديداً للحياد، بل هو أداة لفهم الظواهر الإنسانية من داخلها. إنه يقر بأن الذاتية جزء من عملية المعرفة، وليست خطأ يجب التخلص منه.

16. في ظل التأكيد على الخلفيات الاجتماعية والثقافية في البنائية، هل يمكن تعميم نتائج البحث النوعي؟ ولماذا؟

الإجابة: لا يمكن تعميم نتائج البحث البنائي بسهولة، لأن المعرفة في هذا المنطلق سياقية، مرتبطة بزمان ومكان محددين، لكن يمكن "نقلها" إلى سياقات مشابهة عبر الوصف العميق للموقف المدروس.

17. كيف يمكن للباحث البنائي أن يتجنب فرض معانيه الخاصة أثناء تأويله لمعاني المشاركين في الدراسة؟

الإجابة: يتجنب الباحث فرض معانيه الخاصة عبر الانعكاسية (reflexivity)، أي الوعي الدائم بتأثير خلفيته على التفسير، وإشراك المشاركين في مراجعة النتائج وتفسيرها.

18. ما المخاطر التي قد تنجم عن اعتبار كل تفسير فردي "حقيقة مشروعة" في ظل غياب معيار مشترك للحقيقة؟

الإجابة: خطر البنائية هو النسبية المفرطة: إذا كانت كل رؤية صحيحة، يختلف معيار التمييز بين الحقيقة والوهم. لذلك، يعتمد الباحث البنائي على التوافق الاجتماعي لتأكيد المعنى.

19. كيف يختلف توليد النظرية في البحث البنائي عن البحث الكمي؟

الإجابة: البحث البنائي يولد النظرية استقرائياً من المعاني التي يحملها المشاركون، بينما البحث الكمي يبدأ من نظرية جاهزة ويختبرها.

20. ما الفكرة الجوهرية للفلسفة البراجماتية؟

الإجابة: التركيز على النتائج العملية والتطبيقية للبحث، وحل المشكلات الواقعية بدل التركيز على الفرضيات النظرية فقط. (فقرة 22)

21. ما خصائص البحث البراجماتي؟

الإجابة: لا التزام فلسفي محدد، حرية اختيار المنهج، تعدد الواقع، نسبية الحقيقة، التركيز على ماذا وكيف، البحث في سياقات متعددة. (فقرة 23-24)

22. كيف ترتبط البراجماتية بالمنهج المزدجي؟

الإجابة: لأنها تتيح استخدام أساليب متعددة لجمع وتحليل البيانات حسب المشكلة، مما يسمح بفهم أعمق للسياق الواقعي.

23. ما أثر المنطلق البراجماتي على اختيار منهجية البحث؟

الإجابة: الباحث يختار منهجية وأساليب مناسبة لمشكلة الدراسة بدل الالتزام بمنهج واحد، ويركز على أفضل النتائج والتطبيقات.

24. كيف يوازن الباحث البراجماتي بين الواقع الخارجي وفاعلية البحث؟

الإجابة: يقر بأن العالم مستقل عن العقل، لكنه يركز على تغيير الواقع وحل المشكلات العملية من خلال أساليب متعددة.

25. إذا كان المعيار في البراجماتية هو "ما ينفع"، فكيف يمكن التمييز بين الحقيقة العلمية والنتيجة العملية المؤقتة؟

الإجابة: في البراجماتية، الحقيقة العلمية هي ما يثبت نفعه وفاعليته في الواقع، لا ما يتطابق مع "واقع خارجي". لذلك، الفرق بين الحقيقة والنتيجة المؤقتة هو الاستمرارية والفاعلية عبر الزمن.

26. هل يمكن أن تؤدي حرية الباحث في اختيار المناهج (الالتزام الفلسفي) إلى فوضى منهجية؟ أم أنها تعزز الإبداع البحثي؟

الإجابة: حرية الباحث قد تُحدث فوضى إذا غابت الصرامة المنهجية، لكنها في الوقت نفسه تفتح الباب للإبداع والتكامل بين المناهج. المعيار هو صلاحية المنهج لحل المشكلة، لا انتماؤه الفلسفي.

27. في ضوء تعدد الواقع ونسبية الحقيقة في البراجماتية، كيف يمكن بناء نظرية علمية متماسكة ومقبولة عالميًا؟

الإجابة: صعوبة البراجماتية في بناء نظرية عالمية تنبع من نسبية الحقيقة والسياق، لكن يمكن تطوير "نظريات عمل" (working theories) "قابلة للتطبيق المتجدد حسب الزمان والمكان".

المراجع

- العبد الكريم، راشد بن حسين. (2012). *البحث النوعي في التربية*. النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود.
- القحطاني، حمد، كليبي، رشا، والداود، منال. (2021). *الكتابة الأكاديمية والنشر العلمي وفق دليل نشر الجمعية الأمريكية لعلم النفس*. شركة تكوين للطباعة والنشر والتوزيع.
- كرسويل، جون، بوث، شيريل. (2019). *تصميم البحث النوعي دراسة معمقة في خمسة أساليب*. (أحمد محمود الثوبية، مترجم). دار الفكر ناشرون وموزعون. (العمل الأصلي نشر في 2018).
- كرسويل، جون. (2019). *تصميم البحوث الكمية- النوعية- المزجية*. ط. 2. (عبد المحسن عايض القحطاني، مترجم). دار المسيلة للنشر والتوزيع. (العمل الأصلي نشر في 2014).